مكتبة المقتطف

أهداف الفلسفة الاسلامية

نشأتها وتطورها

للدكتور عبد الحليم أبو العطا البقري الانصاري

إذا شئنا أن نعرف الكتب الحية فحسبنا أن نقول بأنها تلك التي تنظم عناصر الحياة من فكرة وغرض وقيمة باقية ذات صلة بالمعاني الانسانية الخالدة. أما حجم الكتاب فلا أهمية له ولا حساب بعد ذلك أو قبله. فرباعيات عمر الخيام مثلاً تضمها ورقات معدودة، وهي أبعد ما تكون عن الملاحم، ومع ذلك فهي «أبقى على الزمن الباقي من الزمن»، لأنها عبرت عن مأساة الانسانية وعن عزائها في آن واحد. استمع إلى قوله أو إلى صداه في نظم فتزجر الدمع قائلاً: —

ذكرتَ دمعَ الاصباح تأبى ورودَه ... صدقتَ، ولكن أين ورد لآسنا؟
ففي مطلعِ الديكِ الحميمِ وردةٌ ... سيمضي (كيقباد) و(جمشيدُ) من هنا!
إلى حيثُ صارا دعهما! ليس شأننا ... (كيقبادُ) أو (خسرو)، وإن عنّا شأنا
ودعْ صيحةَ الحربِ (رستمٌ) صاحها ... و(حاتم) إذ يدعو إلى المطعم الأهنا
تعالي معي في شقةِ العشرِ هذه ... وقد فصلت قفراً عن الزرع والعرش
وحيث تنوعى كل عبدٍ وسيّدٍ ... يقولي سلاماً للمليكِ على العرش!
يحسبي غنى خبزٌ قليلٌ، ودوحةٌ ... تظل، ودنٌّ، وأنت، مع الراعي
تغنين قربي وسط قفرٍ لشوقتي ... وآمر لقفرٍ صار جنة أفراحي!

فهنا حديث الفناء الذي ابتغى به الأحياء من الوردة إلى الملوك، ولمس العبرة منه؛ وهنا حديث السخرية بالحرب ومثيرها، وبالدنيا ومطعمها؛ وهنا حديث الحنان إلى الطبيعة والتغاني فيها وتقديس الحرية والمساواة والحب والحكمة والجمال، وهذه هي

القيم الدينية والخلقية وفي صلبها هذه الآلام وهذه الآمال والعبرات هذا التذكير المتكرر [illegible] بالحقيقة فيها . هذا تقديس السلام والإخاء البشري « حيثما تتوجه كل عبد وسيد » هذه المعاني التي تكون عناصرها الأدب الحي الذي لكل جيل أن يردده وأن يسمع صداه في القلوب الظامئة إلى رحيق السلوان هذا خميرة الأمل في جنة الشعر والحب والتضامن وسط بيداء الإطماع والقسوة والحرب والغرور . وفي ذلك الأمل أو العزاء الجميل أو التحرير التي أضفى المعاني الحية الباقية للإنسانية في حنينها إلى البقاء رغم إحساسها بالفناء .

وفي ضوء هذا الإحساس ننظر إلى (أهداف الفلسفة الإسلامية) وأمثاله من تصانيف حية — سفرت أم كبرت حجباً — ونزورها ونتعلق بها ونشعر حين نقرؤها شعور اللاجئ من جحيم الطغيان إلى فردوس الحرية ، لأننا نكون بين مؤلفين أحرار مفكرين لا يجبرون على التنزيه بالحقائق الأزلية وإذا اختبروا آراء سواهم وأوزنوها فلا علائها .

والأستاذ عبد الدايم أبو العطا البقري الأنصاري ليس دكتوراً متخصصاً في الفلسفة فحسب ، بل معلماً مطبوعاً أصيلاً كذلك ، فهو في جميع تصانيفه — وفي كتابه هذا على الأخص — يكتب بأسلوب تعليمي شائق حاملاً زبدة الحقائق الناصعة التي يتألق منها الروح التقدمي الشريف إنه كتاب يقرأ من أوله إلى آخره بشوق واستمتاع وفائدة ، فانه آية السلاسة في إنشائه ، وصورة الرشاقة في تلوينه ، غير مفرط في شيء من جوهر موضوعه ، وقد أحسن كل الإحسان بالتقسيم التفصيلي المفسر الملهم فبعد التمهيد التاريخي الذي يتحدث فيه عن خلاف المسلمين بعد وفاة النبي وعن أسباب الخلافات ينتقل إلى الدور الأول — دور التهيئة لحركة فكرية دينية — فيتكلم عن الخوارج والشيعة وعن مزجهم التعاليم السياسية بالنظريات الدينية وعن أن نظريات الشيعة مستقاة من الأديان السابقة . ثم ينتقل إلى الدور الثاني — دور الحركة الفلسفية لإثبات الدين — فيتحدث عن المعتزلة والمتكلمين ، منوهاً بالنظريات الخمس الأساسية المعتزلة ألا وهي نظرية التوحيد ونظرية العدل ونظريات الوعد والوعيد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومرتكب الكبيرة ، ثم مقارناً بين نشأة المعتزلة والمتكلمين . ويتناول بعد ذلك الدور الثالث فيتحدث عن دور الحركة الفلسفية الخالصة وهو يشمل إخوان الصفا (الذين يمثلون حركة المعتزلة مع صبغها بصبغة العلم والفلسفة) والكندي (وهو يمثل دور الانتقال من علم الكلام الى الفلسفة) وابن سينا (هو الفيلسوف الشرقي الذي حاول إيجاد فلسفة اسلامية) ثم يأتي بكلمة مقارنة بين المتكلمين والفلاسفة . ثم يتحدث

عن الدور الرابع (دور محاولة هدم الفلسفة بأسلوب علم الكلام ، وهو الدور الذي عاش فيه الشرق وبلاد الاسلام إلى الآن ، فيشرح لنا البيئة السياسية والدينية والبيئة الخاصة التي عاش فيها وكيف طور الغزالي هدم الفلسفة بأسلوب علم الكلام . ثم الدور الخامس الذي تحدث عنه فدور انتقال الفلسفة من وحدة علم الكلام ، متأثراً بابن رشد وأثره في إحياء الفلسفة تناولاً مسهباً من جميع النواحي . أما الدور السادس الأخير فدور دراسة الفلسفة وشرحها وتلخيصها وهو الدور الذي قام به علماء المسلمين ابتداء بالغزالي وابن رشد إلى الآن ، وقد تحدث في نهاية كتابه عن نهاية الفلسفة الاسلامية غرباً وشرقاً وعن خمود الحركة الفلسفية وصلتها بخمود الشرق وضعف دولة الاسلام ، ولم يفته أن يختم كتابه بغير نصيحة فلسفية قيمة عن العلم والأخلاق والمال كأسس للثورة ، فقال : « أما الآن والعالم العربي قد بدأ يتحفز فأصبحت له دولة المستقلة وجامعته التي توحّده — أما الآن والعالم الاسلامي قد بدأ يتم فحله بعد ما حل من علوم أوروبا ، وبعد أن تأكد أن قوته في أن يأخذ من علماء الغرب أفكارهم — فاني آمل أن ينهض الشرق والاسلام نهضة الغرب فينحو نحو القوة في العلم وفي الفن وفي الانتاج . وإذا كان لي من رجاء أتوجه به إلى شباب الاسلام وفتيان العرب فهو أن عليهم وعلى دولهم وعلى هيئاتهم أن يتقووا بأسلحة العلم فينهلوا من ينابيعه ، والمال فيسلحوا أنفسهم بجيروته ، والأخلاق فيؤسسوا عليها ملكهم ويشيدوا فوقها سلطانهم . وما العلم والمال والأخلاق إلا أسس القوة ، وبغير القوة لن يقوم ملك إطلاقاً ولن يسود سلطان أبداً » .

ومن أمثلة بيانه المستقيم السائغ قوله عن خمود الحركة الفلسفية وصلتها بخمود الشرق وضعف دولة الاسلام : طبيعي أن لون الثقافة نوع التفكير عما يمدد رسالة الأمة ويكوّن نهضتها ويبعث آمالها ويجدد روحها . وما دامت الحركة الفكرية في الشرق وفي بلاد الاسلام قد ماتت هذا الموت العجيب وقد خفتت هذا الخفوت الأشد عجباً ، فلا غرو إن وجدنا أمم الاسلام وقد ضعف سلاطينها وتمزقت وحدتها ، وتفشت فيها الآراء الخرافية ، والنظريات الوهمية ، وظللتها ألوان من الشعوذة والسحر وأصبح رجالها يعالجون مسائلهم العامة تحت هذه الآراء التافهة ، وأضحوا يبنون مستقبلهم السياسي والعلمي بهذه اللبنات المتساقطة التي لا تمسك حتى نفسها ولا تمسك شيئاً من بنيانها . لذلك سهل على الأمم الأوروبية التي تسلحت بسلاح العلم وشربت من منابع الفلسفة التي نقلها إلى بلادها علماء الشرق من المسلمين كما سبق بيانه والتي تسربت إليها من صقلية

جنوباً ومن بلاد الأندلس غرباً . نعم سهل على هؤلاء الأوربيين وقد أعطاهم التفكير المستقيم قوة ، وزوّدهم الرأي الحر سلاح لا يفل من إيمان بنفوسهم ومن استعداد للحكم والسلطان ، سهل ذلك عليهم استلاك أمر الإسلام واستعمار امبراطورية العرب والمسلمين .

وفي الكتاب ست وعشرون مسألة كلها معالجة على هذا النحو من الصراحة والبلاغة وبروح يقدرها خاصة كل من يعيش في جو ديمقراطي صالح الحرية والحضارة كما نعيش فيه نحن ، ولا بدّ أن يقدرها الجيل الناشيء المثقف في العالم العربي وإن قدّر أيضاً أن حتى فلاسفة الإسلام الاعلام الذين جاهدوا في تحرير العقل البشري في أزمنتهم كانوا مسطرين إلى شيء من الثقة والحذر لم يسلم من ذلك ابن رشد نفسه ، وأن الخير كل الخير لتقدم الانسانية هو في حرية الفكر المطلقة إذ بدونها لن يجود العقل البشري بأفضل ما عنده في سبيل تعرّف الحقيقة وتفهّم جمال الوجود ، وتوجيه الانسانية وجهة السعادة .

أحمد زكي أبو شادي

متنبي

تأليف الاستاذ علي أدهم صفحاته ٢٦٧ صفحة من القطع المتوسط . دار المعارف بمصر — ١٩٥٢

« لقد كانت حياة متنبي ساحية صافية ، لطيفة نقية ، جميلة ملهمة ، تكاد تكون قصيدة غنائية حماسية ، بديعة النظم ، متخيرة اللفظ ، رائعة المعنى ، وقد امتحنته الأيام ، وتقلبت على عينه الدنايا ، وتوالت عليه المحن ، وترصدته المتاعب والعقبات ، فلم يعدل عن سبيله ، ولم تضلله الخطوب ، ولم تهن من جانبه الحوادث ، وظل ماضياً في سبيله ، مثابراً على الجهاد لتحقيق غايته .

وقد يكون لمتنبي المفكر أخطاؤه وعيوبه ، وقد يكون لمتنبي السياسي أغلاطه ونقائصه ، ولكن متنبي الانسان كان من الأفراد القلائل في القرن التاسع عشر الذين رفعوا مستوى البشر ، وتقلوهم إلى مستوى أعلى يتسع فيه الفكر ، وتسمو الروح ، وتستطيع أن تنظر إلى الحقائق التي تحجبها غلالة حب النفس والحرص على المصلحة والخضوع للشهوة ، وقد جمع في نفسه بين بطولة البطل وقداسة القديس » .

وبهذه العاطفة الحارة زهذا الايمان الصادق ، يختتم الكاتب المؤرخ المقتدر الثقة الأستاذ علي أدهم ترجمته لسيرة حياة الزعيم الايطالي الوطني الكبير يوسف متزيني

ولقد وفق المؤلف الفاضل في اختيار شخصية هذا البطل القديس ، توفيقه في الترجمة له . وليس هذا ، في ذاته ، شيئاً بالقياس إلى منزلة الكاتب وعلمه وألمعيته . والذين قرأوا له من قبل كتابيه عن « صقر قريش » و « منصور الأندلسي » يدركون مدى رسوخ قدمه وطول باعه في هذا الفن من كتابة السير والتراجم وخاصة تراجم العظماء الأفذاذ من قادة الأمم وبناة الشعوب . والأستاذ أدهم لا يكتب عن هذه الشخصيات إلا وهو يتجاوب معها في آفاقها وينطوي لها على شعور التقدير والصداقة التي تنشئها الصلة الروحية بينه وبين بطله ، وإن كان هذا الشعور لا يرتقي إلى مرتبة التأليه أو التقديس ، فهو لا يذهب مذهب كارليل في عبادة البطولة والأبطال ، ويرفض التعصب المطلق الذي يستولي على طائفة من المؤرخين وكتّاب السير والتراجم فلا يطيقون معه أن يتطاول النقد إلى أبطالهم أو أن يشار إلى عيوبهم وأخطائهم ولو في معرض التبرير والاعتذار . وليس معنى ذلك أن الأستاذ أدهم يضنّ على شخصيات أبطاله بالدفاع والمناضلة ، فكثيراً ما يدفعه صدق النية وحرارة الاخلاص إلى اعلان حماسته وإظهار موضع ميله . وهو يشير إلى عيوب بطله وإن كان لا يخلو من العطف عليه ، فالبطل عنده إنسان قبل كل شيء ، وبمقدار ما يكون في البطل من « الانسان » يكون تقديره له واعجابه به . والكشف عن هذا الجانب الانساني في البطل ، أو الرجل العظيم ، هو هدفه الأول وغايته من دراسة سير العظماء والأبطال ، أو دراسة التاريخ على وجه العموم . ولسنا نغالي اذا قلنا إن الاستقراء السيكولوجي وتطبيق نظريات علم النفس يضطلع عنده بدور رئيسي في تحقيق « مادة » التاريخ وتمحيص حقائقه وأوهامه . وهذا التقويم النفسي للعوامل الانسانية مزيته أنه يضفي على جفاف الدراسات التاريخية ظلالاً سابغة من نبضات الحركة والحياة فلا تبدو الحوادث والأشخاص في يد المؤرخ مجرد مومياءات متحجرة تعوزها حتى الأكفان

ونهج الأستاذ أدهم في كتابة التاريخ نهج محدث لا يضرب فيه على قرار ، وهو وسط بين نهج الاستقصاء التاريخي ونهج الترجمة النفسية أو الباطنة ، يحرص فيه ، إلى جانب الترتيب أو التسلسل التاريخي للسيرة ، على ابراز الصورة النفسية منذ الوهلة الأولى بحيث يسير الاتجاهان جنباً الى جنب وكثيراً ما يكون الاتجاه التاريخي تفسيراً للاتجاه الآخر النفسي ، والعكس .

ويتم جانب « المؤرخ » في الأستاذ أدهم جانب آخر لا معدى ولا غناء عنه لكل من يتصدى لمهمة الحكم على التاريخ ومناقشته الحساب ، ذلك هو جانب « الناقد »

للكلام عن الملكة الناقدة في أدمع ومجال غير هذا المجال . ولكننا نرجز فنقول ان الناقد والمؤرخ فيه توأمان ، يعمل الناقد بالمؤرخ ويعمل المؤرخ بالناقد ولا يتعارضان . ومزية المؤرخ الناقد أنه لا تأسره قداسة الاسطورة التاريخية ولا يبهره سحر الخلود .

ونعود الى كتاب متريني فنذكر أنه قد توافرت له تلك الخصائص على نحو قذ يقف به مؤلفه بين كتّاب التراجم في الصف الأول . وأعتقد أن هذا الكتاب هو من خير الكتب التي تيسّرت لي قراءتها عن متريني ولعل مما يزيد في قيمته أنه الكتاب الوحيد في موضوعه بالعربية . وقد استكثر متريني مرة ، كما يروي الأستاذ أدمع ، أن تكتب له سيرة حياة ، وقال لصديقته إميلي التي قامت في هذا الشأن « إن حياتي عنوان ولكن ليس هناك كتاب » . فمن سلغه اليوم هذه التحية الغامرة التي يرفعها إليه ، في كتاب ، مؤرخ مصري من أبناء القرن العشرين يؤمن برسالته التي آمن بها ويجاهد من أجلها ، ألا وهي رسالة الحرية الانسانية والايمان بالمثل العليا والقيم الروحية في حياة الانسان وفي حياة الأوطان .

. . إن هذا كتاب يأتي في حينه . وكل بحياة متريني المثالية وكفاحه النبيل نبراساً هادياً وقدوة صالحة لكل من يتطلع ، من أمم العالم وشعوبه ، إلى مجد البناء والتحرير وإلى حياة الكرامة والاستقلال .

محمد محمود محمد

القاموس الحديث — فرنسي — عربي

تأليف الاستاذ متري إلياس — طبع بالطبعة العصرية بالفجالة بمصر

هذه هي الطبعة الثانية لهذا المجلد البديع الذي يقع في نحو ٧٠٠ صفحة . وقد امتازت هذه الطبعة عن سابقتها بغزارة مفرداتها والاسهاب في تنقيحها وصقلها ، فضلاً عن تذييلها بفصل وافر في شرح قواعد الفرنسية ، وتعليمات مهمة عن اللفظ ، وجداول كثيرة بأهم الأفعال وتصريفها . والواقع أن كلاً من الطبعتين جديرة بكل ثناء وإعجاب . فقد حمل كاتب هذه السطور معه في صيف عام ١٩٥١ إلى أوربا ، نسخة من الطبعة الأولى ، للاستعانة بها على ترجمة كتاب فرنسي ملىء بالمفردات والمصطلحات الغريبة ، فوجد فيها كل لفظ ، كل اصطلاح عسر عليه فهمه . فلا بدّ أن تكون الطبعة الثانية وقد زيد عليها ما زيد ، تحفة للطالب والمعلم وجميع المشتغلين باللغة الفرنسية . فأهنىء الأستاذ متري إلياس ، بمؤلفه النفيس وأثني على مجهوده العظيم ، وأرجو لقاموسه الرواج والانتشار .

الدكتور امير بقطر

الدين

تأليف الدكتور محمد عبد الله دراز — صفحاتها ١٢٦ صفحة من حجم المقتطف — طبع بالقاهرة ١٩٥٢

الدكتور دراز خريج الأزهر وجامعات باريس من أنبه علمائنا وأوطدهم قدماً في البحوث العلمية ، وخاصة ما يتصل منها بتاريخ الأديان ، الذي قام بتدريسه لطلبة فرع الاجتماع من قسم الدراسات الفلسفية بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول .

وهذه الدراسة الجديدة تدور حول ماهية الدين ونشأته ووظيفته في الحياة الخ .. هي إحدى ثمار هذه الدراسة الجامعية التي يقوم بها الأستاذ جليل .

قسّم الدكتور كتابه إلى أربعة بحوث ، فالبحث الأول من تحديد معنى الدين ، والثاني في علاقة الدين بأنواع الثقافة ، والثالث في نزعة التدين ومدى أصالتها في الفطرة ووظيفتها في المجتمع ، والرابع في نشأة العقيدة الالهية .

وأهمية هذه البحوث أنها تسير على أحدث مناهج البحث العلمي ، وأنها تجمع شتى الآراء والنظريات القديمة والحديثة الشرقية والغربية وتعرضها في أسلوب واضح قوي مركز يدل على شخصية المؤلف الفكرية فحين يتحدث عن الوضع التطبيلي لنشأة العقيدة الالهية مثلاً يلم بالمذاهب الكونية (أو الطبيعية) ، ويذكر ما وجه إليها من اعتراضات ، ويجيب عليها ، ويشرح المذاهب الروحية المشهورة باسم الحيوية ، ويتكلم على المذاهب النفسية في المسألة كنظرية سابتيه ، ونظرية برجسون ، ونظرية ديكارت ، ثم يبين المذهب الأخلاقي وينقده ، ويناقش المذهب الاجتماعي ، ويعرض المذهب التعليمي أو مذهب الوحي .. ويبين ما له في كل هذه المذاهب ويناقشها ويحاول التوفيق بينها .

والدكتور في بحثه العلمي الموفق يؤمن قوى العقيدة ، جليل الدفاع عن الدين في غمار مادية القرن العشرين الالحادية .. ولا شك أنه توفيق كبير ، المؤلف جدير بالتقدير والاعجاب والهيئة عليه .

محمد غير المنعم خفاجي

الاسلام وحقوق الانسان

تأليف محمد عبد المنعم خفاجي الاستاذ بكلية اللغة العربية — صفحاتها ٦٢ صفحة من القطع المتوسط
دار النشر المصرية بمصر — عام ١٩٥١

كتاب في صميم الدراسات العلمية للاسلام ومبادئه وأهدافه ، واعترافه بحقوق الانسان ، وتأييده وحمايته لها ، وما كسبته الانسانية والحضارة والحياة من هذه الرسالة

الالهية العظمى ، التي بلغها محمد بن عبد الله إلى الناس كافة منذ أربعة عشر قرناً من الزمان واستقبل العالم بظلها أجيالاً عديدة .

ولا شك أن الكتاب جديد في مادته وموضوعه ، وجدير بالمطالعة والدراسة ، لما حواه من بحوث وموضوعات عن الاسلام ومبادئه وسياسة الحكم وانظم الاقتصاد في الاسلام ، وأثره في المجتمع والأسرة ، ورسالته الانسانية العامة . . . إلى غير ذلك من شتى الدراسات التي تعتبر خطوة جديدة في سبيل الدراسات الصحيحة عن الاسلام

* * *

التقرير

الاستاذين : عبد الله المشد ومحمود خليفة الاستاذين بكلية الشريعة

صفحاتها ١٦٠ صفحة من الحجم الكبير — مطبعة الازهر — ١٣٧١

رأى الأزهر في ٢٩ إبريل ١٩٥١ أن يوفد بعثة من أساتذته إلى بلاد النمسا والمجر وألمانيا وعدن والحبشة ، لدراسة أحوال المسلمين في هذه الأقطار ، وتعرف شئونهم ، وتوجيههم إلى ما فيه خير بلادهم ، ودعم الصلات الثقافية والفكرية والروحية بينهم وبين مصر ، واختار للقيام بهذه المهمة اثنين من أساتذة كلية الشريعة ، هما الاستاذان : عبد الله المشد ومحمود خليفة ، لما يجمعان من ثقافة عالية وخبرة واسعة وخلق كريم .

وقد طاف الاستاذان بهذه البلاد جميعها ، في رحلة استغرقت ثلاثة أشهر كاملة خلال العام الماضي ، وزارا فيها كثيراً من المدن والعواصم المشهورة في هذه الأقطار واجتمعا بزعماء المسلمين فيها ، وتدارسا معهم أحوالهم الثقافية والدينية والاجتماعية ، وألقيا كثيراً من المحاضرات في شتى المدن التي مرا بها .

وقد وضع الاستاذان الجليلان بعد عودتهما من رحلتهما تقريراً ضافياً ، لخصا فيه كل ما قاما به من نشاط محمود ، ودراسات واسعة للجماعات والطوائف الاسلامية المختلفة في تلك الأصقاع ، وكل ما يمكن أن يعود عليهم بالرقي والتقدم والنهضة في شؤون دينهم ودنياهم ، ولقد استعرض الاستاذان الجليلان في تقريرهما حالة المسلمين في كل قطر من هذه الأقطار استعراضاً واسعاً ، وتقدما في آخر كل بحث باقتراحاتهما لاصلاح حالهم ، والسير بهم خطوات واسعة في طريق الأمم المتمدينة الراقية . ولقد وفق الاستاذان الفاضلان توفيقاً طيباً ، في هذا التقرير الدسم الذي يهم كل أمة بالدراسات الاسلامية المعاصرة ، ومعرفة أحوال المسلمين في هذه الأقطار . ولاشك أنهما جديران بكل تقدير وإعجاب على هذا الجهد الكبير ، والنشاط الضخم ، وتلك الآراء الناضجة التي سجلاها في التقرير رغبة في الاصلاح ، وأداء لرسالة مصر في هذه البلاد .

* * *